جسور التواصل الثقافي بين مصر وكازاخستان في العصر الحديث

د.أشرف درويش
المستشار الثقافي السابق لجمهورية مصر العربية
بجمهورية كازاخستان

الثقافة والفنون في كازاخستان لها طابع خاص؛ إذ نلاحظ في كازاخستان في العصر الحديث التقدم الواضح في الفنون الموسيقية ومنها الأوبـــرا، وهـــذه الفنون لها مكانتها في نسيج الحياة. وهناك قمم عالية في الغناء الأوبرالي فـــي كازاخستان، وآن الأوان أن يبدأ تعاون قوي في هذا المجال، وفي الموسيـــقـــى وإعداد الموسيقيين، وتبادل الفرق على نحو يقرّب بين الشعبين الشقيقين. أمـــا المعارض بكل أنواعها فتعد مجالاً للتعاون: معارض الخط العربـــي، مـــعـــارض الرسم، معارض عن تاريخ الحضارة، معارض الكتب العربية... إلخ. وفوق هذا كله، فإن السينما العربية غير معروفة بشكل كبير. إن عرض بـــعـــض الأفـــلام الروائية والتسجيلية في دور العرض أو في المؤسسات الثقافية والتعليـــمـــيـــة مصحوبة بالترجمة القازاقية سيكون إضافة مهمة في سبيل مزيد من المعرفـــة والصداقة والتواصل بين البلدين.

جامعة الفارابي

لجامعة الفارابي بمدينة ألماطي بكازاخستان بكلياتها المختلفة حديث يطول، وتحديداً قسم اللغة العربية بهذه الجامعة العريقة، هذا القسم الذي تأسس سنـــة ١٩٨٤م بالجامعة الحكومية، وهو القسم الذي يعطينا مؤشراً عن اهتمام الدولة القازاقية باللغة العربية، كان هذا القسم في البداية يسمى قسم الدراسات اللغوية الشرقية، وقام بتأسيسه الأستاذ الدكتور "عبد الستار دربيسالي" المتخصص في

الدراسات الشرقية والعربية، حيث يعد أحد مؤسسي مدرسة الدراسات العربية في كازاخستان، ففي عام ١٩٧٧م قام لأول مرة في كازاخستان بإدخال تدريس اللغة العربية بصفتها لغة تخصص في جامعة الفارابي، وفي عام ١٩٨٩ أنشأ كلية الاستشراق، وأصبح أول عميد لها حتى عام ١٩٩١، ثم شغل منصب نائب رئيس الجامعة لشؤون اللغات والعلاقات الدولية في الحقبة من عام ١٩٩١-١٩٩٧م، ثم أصبح مفتي جمهورية كازاخستان لمدة طويلة. وعلى مدار عشرين عاماً تخرّج بالقسم آلاف الطلاب والطالبات، وقامت وزارة الخارجية بانتداب عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس والخريجين للعمل بها، ويبرز من بين هؤلاءعدد كبير ممن عملوا سفراء لبلدهم بكل الدول العربية.

ومن المؤسسات العربية الحديثة في التواصل مع كازاختسان، ما قامت به وزارة الأوقاف المصرية بالتعاون مع جامعتي الأزهر والقاهرة بتأسيس جامعة في العاصمة القديمة لكازاخستان (المآتا) سُميت (جامعة نور مبارك) لتكون جامعة إسلامية عصرية، تشتمل على مجموعة من التخصصات الإنسانية في العلوم العربية والدينية؛ حيث كان اتفاق حكومتي مصر وكازاختسان عام ٢٠٠١م على بدء الدراسة بالجامعة المصرية(جامعة نور مبارك) نقطة تحوّل في العلاقات الثقافية ومد جسور التواصل الثقافي؛ لأن هدف الجامعة هو إعداد متخصصين في اللغة العربية والثقافة الإسلامية ودراسات العالم العربي والحضارة والتاريخ وعلم البلدان والترجمة والدراسات المقارنة وكل ما يخدم تنمية العلاقات العربية مع هذا البلد الشقيق، حيث تنظم الجامعة دورات تدريبية في هذه المجالات، وتقوم بتنفيذ مشروعات علمية مهمة، تعمل الجامعة في إطار نظام جامعات كازاخستان وطبقًا للمواصفات الوطنية من حيث المكان والتجهيزات والمكتبات ومستويات هيئة التدريس والفئات المعاونة ونظام

التخصص وغير ذلك. أعضاء هيئة التدريس هم من القازاق والمصريين طبقًا لاتفاق الحكومتين، ومن المتوقع زيادة عدد أعضاء هيئة التدريس القازاق القادرين على تعليم مواد تخصصاتهم باللغة العربية، وذلك بعد حصولهم على الدرجات العلمية المناسبة، أما خريجو الجامعة فهم يعملون في مجالات تتطلب اللغة العربية، ومنها الوظائف الدينية ووظائف المدرسين للغة العربية والتاريخ والأخلاق وكذلك وظائف الترجمة والإعلام وأعمال الشركات والمؤسسات الاقتصادية الأخرى والسلك السياسي والدبلوماسي القازاقي.

ومن أهم مد جسور التواصل بين مصر وكازاخستان في العصر الحديث تأتي عملية الترجمة من العربية إلى القازاقية والعكس، وهي حتى الآن قليلة؛ حيث لا توجد ترجمات قازاقية لعيون الأدب العربي الحديث، وهناك ترجمات لبعض أعمال لنجيب محفوظ، ثم لأدباء العربية في العصر الحديث، ويقابل ذلك وجود ترجمات عربية لأعمال (أباي) مثل "مختارات من أشعار أباي" التي ترجمها المصري جيلي عبد الرحمن ونُشر الكتاب بمصر بالمركز القومي للترجمة تحت إشراف د.عبد الرحمن حجازي، وكذلك "أقوال أباي" التي ترجمها خيرت لاما شريف وغيرهما من أعمال من كازاخستان. إن المكتبة القازاقية تتطلب أيضًا ترجمات من العربية لمن ألفوا بها من أبناء آسيا الوسطى، مثل الفارابي اللغوي والفارابي الفيلسوف، وترجمات لمن ألفوا بالعربية عن آسيا الوسطى، مثل ياقوت الحموي أو ابن خلكان أو ابن بطوطة. وهناك اهتمام كبير بسيرة الظاهر بيبرس التي تقع في ثلاثة آلاف صفحة بالعربية، مع الأمل في إتاحتها أيضًا مترجمة إلى القازاقية. أما الكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية فلها أهميتها الخاصة مع حسن الاختيار وتقديم ما يناسب القارئ القازاقي المعاصر.

إن مد جسور التواصل الثقافي وعملية نشر ثقافة الحوار، والاختلاف وتشجيعها في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا يمكن أن تكون عملية موسمية أو منحصرة في جانب معين، بل هي عملية متكاملة مترابطة ودائمة ومستمرة، وشاملة لمختلف نواحي الحياة وميادينها، ولن تتحقق هذه العملية دفعة واحدة، بل تحتاج إلى وقت طويل حتى تؤتي ثمارها، المهم الآن أن نخطو الخطوة الأولى نحو الاعتراف النهائي بحقّنا جميعاً حكاماً ومحكومين في ممارسة حرية الحوار وحق الاختلاف، وجميعنا مسئولون أمام ضمائرنا ومجتمعاتنا، فلنجعل الطريق طريق الخير والأمل والعمل الدؤوب، ولنبحث عن التكامل الثقافي والفكري والمعرفي الذي يقودنا نحو التطور والتقدم؛ فلنبحث عن السير نحو مستقبل أفضل، بدلاً من تعطيل العقول والتمادي في الخمول ، ولنعمل للوصول إلى طريق الاستقرار، ولنحرص على وحدة العقول والأفكار، ولنكن مساهمين في تشييد البنيان والحفاظ على الأمن والأمان لعالمنا العربي العظيم.

ومن التوصيات المهمة في مجال العلاقات الثقافية بين مصر وكازاخستان ما يلي:

١. إن عرض بعض الأفلام الروائية والتسجيلية في دور العرض أو في المؤسسات الثقافية والتعليمية مصحوبة بالترجمة سيكون إضافة مهمة في سبيل مزيد من المعرفة والصداقة بيننا وبين هذه الشعوب. ولا شك أن وجود المعارض والأفلام السينمائية والمواد الإعلامية المتجددة سيقضي على الحواجز النفسية ويمهد لتدفق سياحي حقيقي.
٢. ضرورة الاهتمام باصدار كتيبات عن اهم المواقع السياحية فى مصر وابرز الاثار الفرعونية لتشجيع حركة السياحة من دول آسيا الوسطى .

٣. العلاقات المباشرة مهمة حتى يحصل المستمع أو المشاهد على رؤية حقيقية، وليس من خلال قنوات وسيطة لا صلة لها بنا أو بهم، وقد يؤدي التطور في الجيل القادم إلى إصدار طبعة أسبوعية عربية في آسيا الوسطى من إحدى الصحف العربية الكبرى، وتقديم معلومات مباشرة ومنظمة في الصحف العربية من خلال علاقات إعلامية قوية.

٤. إن الترجمة- بلا شك- تعد مشروعاً قومياً بمعنى الكلمة، بل كانت كذلك بالفعل في أكثر من مرحلة في تاريخ مصر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وهي تمثل دائماً جسراً ثقافياً ووعاءً للفكر الإنساني، وكانت دوماً مفتاحاً لمشاريع النهضة والتقدم، ليس فقط اقتصادياً بل ثقافياً وعلمياً. ولابد من الاهتمام بسيرة الظاهر بيبرس التي تقع في ثلاثة آلاف صفحة بالعربية، مع الأمل في إتاحتها مترجمة إلى القازاقية

٥. ضرورة الاهتمام بآفاق التعاون في مجالات التربية واللغة العربية والحضارة والتربية الإسلامية، ومنها: الكتب، والدورات التدريبية، والتقنيات، ونموذج الجامعة الإلكترونية، وإيفاد الطلاب والمدرسين، واللقاءات العلمية، والمؤتمرات،...وغيرها.